# الفصل الرابع

## التسابق نحو المغانم

obeikandl.com

obeikandl.com

كانت علاقاتي الشخصية مع موسوليني في المرتين اللتين اجتمعت فيهما معه عام ١٩٢٧ ، وثيقة ، ولم أكن لأحرض حكومتي على مقاطعته حول موضوع الحبشة ، أو لأثير نقمة عصبة الأمم عليه ، إلا إذا كنا على استعداد لخوض معركة ضده حتى النهاية .

وفي هذه الأثناء ، وبعد الكارثة التي ألمت بنا في فرنسا ، وجدت أنه يترتب علي بصفتي رئيسًا للوزارة أن أبذل ما في وسعي لإبقاء إيطاليا خارج الحرب ، وبالرغم من ثقتي بعدم جدوى هذه المحاولة إلا أنني لم أتردد في استخدام كل ما لدي من نفوذ وطاقات ، فبعد ستة أيام من تسلمي للحكم في بريطانيا بعثت بنداء إلى موسوليني ، وقد سمحنا بنشر النداء والرد عليه بعد عامين في ظروف مغايرة عن تلك الظروف ، وكان تاريخ ندائي هذا هو السادس عشر من أيار عام ١٩٤٠ وهذا نصه :

من رئيس الوزراء إلى السنيور موسوليني :

الآن بعد أن أصبحت رئيسًا للوزارة ووزيرًا للدفاع ، فقد رجعت بذاكرتي إلى اجتماعتنا الماضية في روما ، فإني أشعر بالرغبة في نقل عبارات حسن النية بوصفك رئيسًا للشعب الإيطالي، عبر ما يبدو أنها ثغرة تتسع بسرعة ، هل فات الوقت لصد نهر الدماء من الاندفاع بين الشعبين البريطاني والإيطالي ؟ إن في إمكاننا أن نلحق ببعضنا إصابات قوية مؤلمة ، وأن يضرب بعضنا البعض دون رأفة ، وأن نحيل البحر الأبيض المتوسط إلى ظلام بنزاعنا وخصامنا ، فإذا كانت هذه رغبتك ، فلتكن كذلك ، ولكني أعلن بأني لم أكن يومًا من الأيام عدوا لعظمة إيطاليا أو عدوًا للمشرع الإيطالي الذي منحنا القوانين والشرائع أن من العبث معرفة وجهة هذه المعارك الدائرة الآن في أوروبا ، ولكني متأكد من شيء واحد هو أنه مهما حصل في القارة الأوروبية ، فإن بريطانيا ستمضي بثبات إلى نهاية الطريق ، حتى لو اضطرت إلى البقاء لوحدها كما جرى في السابق ، كما أني متيقن من أن المساعدات الأميركية لنا سترداد، بل أننا سنتلقى العون من الأميركيين أنفسهم.

وأني أرجو أن تصدق ، أن الدافع الذي دفعني إلى توجيه هذا النداء إليك، لم يكن الخوف أو الضعف ، فهذا النداء سيسجل على صفحات التاريخ ، فعبر الأجيال المقبلة وفوق الهتافات ، سيبقى الهتاف الوحيد قائمًا بألا يشترك الوارثان للحضارتين اللاتينية

والمسيحية في صراع دموي ضد بعضهما البعض ، وإني أناشدك أن تصغي إلى هذا النداء بكل إجلال واحترام قبل أن تصدر إشارتك المخيفة وعلى كل حال أن هذه الإشارة المخيفة لن تصدر عنا أبدًا ... » .

وكان جواب موسوليني على هذا النداء قاسيًا جدًا ، ولكنه لم يخل من الصراحة، وهذا نص الجواب :

من السنيور موسوليني إلى رئيس الوزراء :

«أجيب على الرسالة التي بعثت بها إلي ، أنك بلا شك مطلع على الأسباب الخطيرة التي حدت ببلدينا إلى الوقوف في معسكرين متعاكسين ولا أرى سببًا للرجوع إلى الماضي، ولكني أذكرك بالدور الذي قامت به حكومتك عام ١٩٣٥ في فرض العقوبات على إيطاليا التي أرادت أن تحتفظ لنفسها بقطعة صغيرة من أرض إفريقيا دون أن تلحق الأضرار بممتلكاتكم أو مصالحكم أو ممتلكات أو مصالح غيركم ، كما أريد أن ألفت نظرك إلى الحالة الراهنة من العبودية الحقيقية التي تجد إيطاليا نفسها فيها وفي بحرها الخاص بها ، وإذا كانت حكومتك تريد المحافظة على كلمتها وتوقيعها ، لذلك أعلنت الحرب على ألمانيا ، فيمكنك إذن فهم حقيقة هذا الشعور بالنسبة لإيطاليا أيضًا التي هي الأخرى تريد المحافظة على كلمتها ومعاهدتها مع ألمانيا ، مهما كانت الظروف والاعتبارات» .

وبعد وصول هذا الرد من موسوليني لم نعد نشك في أنه لا يريد إلا الحرب، فهو سينتظر الفرصة المناسبة ، وقد وجد في هزيمة فرنسا الفرصة الذهبية لإعلان الحرب على بريطانيا وفرنسا معًا، وقد ذكر تشيانو أن موسوليني سيعلن الحرب خلال شهر واحد وفي أقرب وقت يراه مناسبًا بعد الخامس من حزيران ، إلا أن الموعد تأجل إلى العاشر منه بناء لطلب خاص من هتلر نفسه .

وقد حاولت الولايات المتحدة التدخل لمنع إعلان الحرب من جهة إيطاليا ، وبذلت جهودًا هائلة في هذا السبيل ، إلا أن الدكتاتور الإيطالي رفض كل عرض تقدمت به الولايات المتحدة، وفي الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين من بعد ظهر اليوم العاشر

من حزيران ، أبلغ وزير الخارجية الإيطالية سفير بريطانيا أن إيطاليا ستعتبر نفسها في حالة حرب مع المملكة المتحدة منذ منتصف تلك الليلة ، كما وجهت مثل هذا الإشعار إلى حكومة فرنسا أيضًا ، وعندما نقل تشيانو هذا الخبر إلى السفير الفرنسي قال هذا وهو يتجه إلى الباب : «وأنتم أيضًا ستجدون أن الألمان هم سادة قساة» ، وأعلن السنيور موسوليني من شرفة قصره إلى الحشود المتجمهرة أن إيطاليا قد أعلنت الحرب على بريطانيا وفرنسا .

وبدأ الإيطاليون معركتهم بأن راحوا يهاجمون القوات الفرنسية في جبال الألب ، وأعلنت بريطانيا الحرب على إيطاليا في الحال ، وصدرت الأوامر بتوقيف خمس بواخر إيطالية كانت في جبل طارق كما أخطر الأسطول بوجوب توقيف كل باخرة إيطالية يجدها ، وقامت أسراب طائراتنا بالإغارة على تورين وميلانو .

أما فرنسا فلم تتمكن من حشد أكثر من ثلاث فرق بالإضافة إلى عدد مماثل من الحاميات الجبلية ، وذلك لصد أي محاولة للغزو من قبل الإيطاليين عبر الألب وساحل ريفييرا ، وكانت الجيوش الإيطالية تقدر باثنتين وثلاثين فرقة تحت قيادة الأمير أومبرتو ، وفي نفس الوقت شرع الألمان بتطويق الفرنسيين عبر نهر الرون ، وصمدت الفرق الفرنسية المقاتلة أمام الإيطاليين ، حتى بعد أن سقطت باريس وليون في أيدي الغزاة الألمان، وعندما اجتمع موسوليني وهتلر بعد ذلك لم يجد الدوتشي ما يفخر به أمام صديقه ، إذ لم يتمكن الإيطاليون من تحقيق أي نصر في فرنسا رغم محاولاتهم المتكررة .

وكان مقررًا أن يلقي الرئيس الأميركي خطابًا يوم العاشر من حزيران ، واستمعت إلى خطابه العظيم حوالي منتصف الليل وأنا لا أزال في غرفة العمليات الحربية في الأميرالية ، وعندما توجه الرئيس روزفلت بهذه العبارة الجارحة لإيطاليا : « في هذا اليوم العاشر من حزيران عام ١٩٤٠ ، ارتفعت اليد الممسكة بالخنجر وطعنت ظهر جارتها» ، شعرنا جميعًا بالرضا والارتياح ، فقد كان خطابه رائعًا يحمل في طياته بريق الأمل نحونا . وبعثت على الفور برسالة أشكر له فيها عواطفه.

وبعد سقوط فرنسا بدأ التكالب على المغانم ، ولم يكن موسوليني الوحش الوحيد الجائع ، فقد لحقه الدب الذي جاء يركض مع ابن آوي .

لقد كان سير العلاقات الإنكليزية ـ الروسية بسير إلى حد قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا، خاصة بعد أن غزا الروس فنلندا، وكانت ألمانيا وروسيا تعملان معًا إلى الحد الذي تسمح به خلافاتهما العميقة القديمة، وراح ستالين وهتلر يعملان بنفس الأسلوب من الدكتاتورية المتشابهة إلى حد كبير، وكان مولوتوف يثني بشدة على إجراءات هتلر وسياسة ألمانيا العسكرية، وعندما قام الألمان بهجومهم على النرويج صرح مولوتوف أن الحكومة السوفيتية تقدر كل التقدير جميع الإجراءات التي أرغمت ألمانيا على هجومها هذا، وقال: إن الإنكليز قد تجاهلوا تمامًا حقوق الدول المحايدة، ثم أضاف متمنيًا النجاح والتوفيق لألمانيا في إجراءاتها الدفاعية، وفي يوم العاشر من حزيران أبلغ هتلر زميله ستالين عن ابتداء الهجوم الألماني الكاسح على فرنسا وعلى البلاد المنخفضة المحايدة، وكتب شولنبرغ يقول: «وقد استحسن مولوتوف هذا الإجراء، عندما قمت بإبلاغه النبأ، وقال أنه من الواجب على ألمانيا حماية نفسها صد أي هجوم إنكليزي ـ فرنسي مشترك تقوم به هاتان الدولتان، وأضاف أنه لا يشك مطلقًا في انتصارنا».

وفي الرابع عشر من حزيران، أي يوم أن سقطت باريس، أرسلت موسكو إنذارها الأخير إلى ليتوانيا تتهمها والدول البلطيكية الأخرى بالتآمر على روسيا، وتطالبها بإجراء تغييرات شاملة في الحكومة، وببعض التنازلات العسكرية، وفي اليوم التالي قام الجيش الأحمر بغزو تلك البلاد التي لم تتمكن من المقاومة، ثم تعرضت لاتفيا وأستونيا لنفس الطريقة وفرضت عليها حكومات جديدة موالية لروسيا، كما فرضت عليها حاميات سوفيتية في أراضيها، ولم تلبث جميع تلك الدول أن انضمت إلى الاتحاد السوفيتي في الثالث في شهر آب.

ووجه الروس إنذارًا إلى رومانيا طلبوا فيه منها التخلي عن بساربيا والجزء الشمالي من بوكوفينا لمصلحة الاتحاد السوفيتي، وطلبوا أن يصلهم الرد في اليوم التالي، وقد انزعجت ألمانيا أشد الانزعاج لهذا التصرف من قبل روسيا، لما يترتب على هذا العمل من إضرار بمصالح ألمانيا في رومانيا، إلا أنها اضطرت للموافقة طبقًا لارتباطها بمعاهدة ريبنتروب ـ مولوتوف عام ١٩٣٩ الذي اعترفت فيه ألمانيا بحق روسيا بتطبيق سياستها في جنوب شرق

أوروبا، وبناء على ذلك أوعزت ألمانيا إلى رومانيا بالموافقة فورًا على المطالب الروسية، وهكذا انسحبت القوات الرومانية من المقاطعتين المذكورتين وانتقلت إليها القوات الروسية، وبذلك أصبحت القوات السوفييتية متمركزة على طول سواحل البلطيق وعلى مصب نهر الدانوب.

❖ ❖ ❖

obeikandl.com

obeikandl.com